

دور المجلات الادبية اللبنانية في الخلق الفني والابداع

١ - يحتل لبنان في حقل الصحافة والادب مكانة عالية ترقى في الزمن الى بداية اليقظة العربية في القرن الماضي ، وما تزال مستمرة حتى وقتنا الحاضر .

والحضور اللبناني في الادب والصحافة ليس ادعاء ندعيه . وانما يجد تعبيره الملموس في اسماء الرواد الكبار من مؤسسي الجرائد والمنشورات الصحفية الاولى في البلاد العربية وخارجها . ويتجسد في مجمل النشاطات الصحفية التي كان لبنانيين دور بارز في اذكارها خلال المراحل التي مرت بها نهضة العرب الحديثة منذ بدايتها حتى اليوم . كما يتجلى ، في شكل ظاهر ، باسماء الكتاب اللبنانيين في مختلف حقول الانتاج ، وبتأثرهم الفنية في شتى انواع الادب والفكر والثقافة .

٢ - ولعل الاسباب التي تجعل من لبنان بلدا تجاريا واقتصاديا مرموقا ، هي نفسها التي تجعل منه في الوقت نفسه بلدا للتفتح الادبي والثقافي بوجه عام . فهو قعره الجغرافي وطبيعته ، وميراثه الحضاري ، وتكوينه الاجتماعي التعددي ، والعربية السياسية النسبية التي يتمتع بها اللبنانيون ، كلها عوامل مسعفة على دفع اللبنانيين الى تحقيق المبادرات الخلاقة في شتى ميادين المعرفة والتعامل التجاري والاقتصادي الواسع .

على ان هذه الصورة للوضع الثقافي والاقتصادي في لبنان لا تكتمل اذا لم نلاحظ ، ضمن هذا الاطار العام ، الصراع الذي خاضته دائما ، وتخوضه في استمرار ، قوى الانتاج النامية ضد كل ما يعيق تطورها على الصعيدين المادي والايديولوجي من علاقات انتاجية متخلفة وما يلازمها من بنيات ثقافية مستندة ومفاهيم ذهنية متحجرة .

واذا كان من شأن التاريخ السياسي للشعب اللبناني ان يروي وقائع النضال الذي خاضته جماهير هذا الشعب ، منذ بداية النهضة الحديثة حتى اليوم ، في سبيل تحرره ومن اجل نظام سياسي اقتصادي - اجتماعي اكثر عدالة وانسانية ، فان من مهمات تاريخ الادب ان يبرز الدور الذي لعبه الكتاب والمثقفون الطليعيون في صياغة مفاهيم التغيير ، وتهيئة الاذهان وتمهينها بالوعي اللازم لتحقيق التطور المرجو .

٣ - على ان ما يهتما هنا الان هو رسم الخطوط الكبرى للدور الذي قامت به المجلات الادبية اللبنانية في عملية التغيير ، وبصورة اخص ، في مجال الخلق الفني والابداع الثقافي . اما دور المجلات الادبية اللبنانية في التغيير التاريخي ، وفي النضال من اجل التحرر

الوطني والتقدم الاجتماعي ، فهو دور اساسي يواكب ما بذلته المجلات الادبية عندنا في ميدان الثقافة ، وهو موضوع يقدمه الى هذه الندوة احد اعضاء اتحاد الكتاب اللبنانيين في بحث مستقل على حدة .

فماذا اذا عن دور المجلات الادبية اللبنانية في مجال الخلق الفني والابداع الثقافي ؟

لن احاول هنا اثبات جدول زمني تاريخي للمجلات الادبية التي صدرت عندنا وتماقبت على الظهور منذ حوالي منتصف القرن الماضي حتى يومنا الحاضر . فهذا شأن مؤرخي الادب والصحافة . فضلا عن ان مثل هذه اللائحة موفورة في اكثر من كتاب ، وعني بها اكثر من باحث ومؤرخ (١) . انما يهمني بصورة عامة التأكيد على ابراز دور المجلات الادبية اللبنانية في العمل على تجاوز الواقع المتخلف لادوات التعبير ، والاشكال الفنية والجمالية ، في ميادين الابداع الاساسية ، والتنويه باهم المساهمات التي قدمتها ابرز مجلاتنا الادبية على امتداد تاريخ النهضة الصحفية والثقافية عندنا .

ولعل اول ما يجب التنويه به على العموم هو ان الاهتمامات الادبية كانت منذ البداية وظلت الى زمن غير بعيد في راس الاهتمامات الصحفية لمعظم المنشورات الاعلامية اللبنانية سواء اكانت هذه المنشورات جرائد ام مجلات دورية . وما يزال الاهتمام الادبي ملحوظا في شكل بارز حتى بعد ان سلكت صحفنا طريق التكنولوجيا الاخبارية والاعلامية ، وما يزال للادب في صفحاتها مكانة مرموقة ، بالاضافة طبعاً الى عدد لا بأس به من المجلات الادبية المتخصصة ذات النفوذ والانتشار .

وما من شك في ان وراء هذه الظاهرة ، ظاهرة الاهتمام الادبي في الصحافة اللبنانية ، عوامل عدة تعود اصلا الى النقل الادبي في الازمنة الفنيه والثقافي للحضارة العربية ، والتي رسوخ هذا الازد في وجدان اللبنانيين ، وفي مناخاتهم النفسية والجمالية .

٤ - واذا ما تجاوزنا هذا المدخل العام للموضوع كي نستعرض الخطوط الكبرى للدور الخاص الذي قامت به مجلاتنا الادبية في مسائل الخلق الفني والابداع ، تبين لنا ، في اجمال ، ان هذا الدور ، عبر العديد من المجلات الادبية ، وعبر عشرات السنين من الزمن ، قد تحقق في اتجاهين متوازيين ، اتجاه التفكير النظري ، واتجاه الممارسة التطبيقية في مجالات التجديد الادبي والخلق الفني

(١) راجع مثلا فيليب دي طرازي : تاريخ الصحافة العربية ، المطبعة الادبية ، بيروت ١٩١٣ .

والجمالي . وقد تبدو أهمية هذا الدور كامة في القضايا الأساسية التي ما انفكت المجالات الأدبية عندنا تطرحها حول اللغة والأدب والفن والمجتمع ، وتخوض في هذا السبيل معارك حقيقية ، وتحاول في الوقت نفسه ان تبعد المنجزات الثرية والشعرية التي تجسد مفهومها الإبداعي لما تنمو اليه وتنشط من أجل تحقيقه .

٥ - وقد يمتد بنا الكلام كثيرا ، ويتشعب الى غير طائل ، اذا نحن حاولنا ان نتتبع في تفصيل المشاركات الثمينة التي نهضت بها في مجال الخلق الفني والإبداع الثقافي كل مجلة على حدة من المجالات الأدبية التي بزغت في الساحة اللبنانية ، او التي تهتدت اصداؤها خارج لبنان ، اقليم لبنانية ، خلال النصف الثاني من القرن الماضي والنصف الاول من هذا القرن ، سواء في العواصم العربية ، او في البلاد الأوروبية او في المهاجر الأميركية وغيرها .

لذلك يمكن الاكتفاء هنا فقط بالإشارة الى القضايا التي تركز حولها النشاط الصحفي الأدبي ، خلال تلك المرحلة ، والصراع الفني خاضته طلائع كتابنا من أجل التقدم الثقافي والإبداع الأدبي والفني ، وكانت أبرز المجالات الأدبية حلبته الواسعة وميدانه الفسيح .

لا شك في ان اول اهتمامات الخلق الفني والإبداع كان الاهتمام باحياء اللغة بعد الجهود الذي اعترها أثناء عصور الانحطاط الطويلة . فاللغة هي الاداة الاولى للتعبير الأدبي والفني ، وقد كانت في أمس الحاجة الى انتشالها من مهاوي الركاسة والهبزال . ومن هنا نرى ان التركيز على احياء اللغة العربية واغنائها بالمصطلحات اللازمة للتعبير عن الحاجات الجديدة كان هدفا أساسيا لكتاب الدور الاول والثاني لعصر النهضة ، كما كان في الوقت نفسه غاية كبرى من غايات المجالات الأدبية التي اصدها اللبنانيون خلال تلك المرحلة . ومن يتصفح بعضا من تلك المجالات ، وأقدمها ، كمجلة الصعبة السنوية (١٨٥٢) ، ومجلة « الجوائب » (١٨٦٠) ، ومجلة « مجموعة العلوم » (١٨٦٨) ومجلة « الجنان » (١٨٧٠) و « الجنة » (١٨٧٠) و « ثمرات القنون » (١٨٧٥) وغيرها ، يدرك اي اهتمام كانت جميعها توليه لمسائل اللغة على اختلافها . واذا كان طريق الإبداع في اللغة اذ ذاك يعني تحريرها من الركاسة ، وتحريرها من قوالب التبعية الزخرفية والكليشيات الموروثة ، والقوالب الجامدة ، فان الطريقة التي اختطها بطرس البستاني في مجلتيه « الجنة » و « الجنان » ، واحمد فارس الشدياق في « الجوائب » كانت هي طريق الإبداع لاعتمادها على السلامة والفوقية ، ولإتباعها عن الركاسة والتصنع . وبهذا تكون صحافتنا الأدبية قد اضافت الى مآثرها العديدة مائة الاسهام في البعث اللغوي ، وهو جانب اولي هام من جوانب الخلق والإبداع .

٦ - والى جانب الاهتمام باستحداث لغة جديدة ، طيبة وثقبة ، تستجيب لدواعي الحاجات الطارئة والتعبير المعالي ، سمعت مجلاتنا الأدبية الى تطوير الانواع الأدبية الموروثة ، واغنائها بانواع جديدة غير مالوفة تماما في التاريخ الأدبي العربي . وكان من جراء هذا السعي ان ولد فن المقالة على اختلاف موضوعاتها واغراضها ، ونما الفن القصصي وقامت قواعده على اساس ما بلغته تجارب الغرب من معاناة انسانية وتقنية اسلوبية خاصة في هذا الفن . وليست التجارب القصصية التي قدمتها مجلاتنا الأدبية في النصف الاول من هذا القرن والنصف الثاني من القرن الماضي سواء كانت اقتباسا ، ام نقلا ، ام تاليفا ، سوى مشاركة اولية في سبيل خلق فني وابداع أدبي ناشط ومتقدم .

٧ - واذا كان العمل في سبيل الإبداع الفني لا يتم في عزلة تامة عن العمل في سبيل الحرية السياسية والعدالة الاجتماعية والتقدم الثقافي والعلمي فان الجهود التي بذلتها المجالات الأدبية اللبنانية وبصورة اخص المجالات ذات النزعة التجديدية ، والاتجاه الوطني

التقدمي ، كانت اذ ذاك خير رافد يصب في نهر الإبداع ، وريحا مؤاتية تحمل شراع الخلق في مغامرته عبر الجهول الى موانئ جديدة مشمسة .

٨ - ولسنا في حاجة الى التذكير بالمجلات الأدبية اللبنانية ، او التي انشأها وادارها لبنانيون بعيدا عن ارض الوطن الام ، قبل الحرب العالمية الاولى ، وبعدها أثناء فترة الإنتداب ، وبدور تلك المجالات في التجديد الأدبي والفني ، في لبنان او في مصر ، او في الاميركيتين ، وبالأثر البالغ الذي كان لها في حمل صوت الادباء الناشئين والمبدعين ، في المقالة ، وفي الشعر ، وفي القصة ، وغيرها من حيث انها عملت على تلقح الذائقة الأدبية العربية بالوان من المضامين ، والأساليب ، والانواع ، والأبعاد الجمالية والفكرية الحديثة ، التي راجت في الغرب ، ولم يالفها العرب كثيرا قبل ذلك الحين .

ويكفي ان نذكر هنا ، من بين تلك المجالات ، « الضياء » للشيخ ابراهيم اليازجي ، اضافة الى « مطنف » يعقوب صروف و « هلال » جرجي زيدان في مصر ، ومتابر الرابطة القلمية ، والمضفة الإندلسية ، في المهجر ، حيث تألفت أسماء التجديد المبدعين ، وفي طليعتهم جبران خليل جبران ، وبمخاطيل نيمه وأمين الريعاني ، وسواهم من تربط بذكرهم حركة الادب المهجري الخلاقة .

واذا كان المجال لا يتسع هنا لتعداد مختلف المتأثر الأدبية التي اسهمت في تنشيط حركة الإبداع الفني ، بعد الحرب العالمية الاولى وخلال فترة الإنتداب ، فلا أقل من ان تشير الى مجلة « المكشوف » التي اسمها المرحوم فؤاد حبيش واسهمت في تحريرها في اواخر الثلاثينات نخبة من أبرز تضراننا وادبائنا وكتابنا اذ ذاك ، وكانت « المكشوف » عهدئذ أكثر المجالات الأدبية انفتاحا على الجديد ، في الفن والادب ، واورفها نشاطا واكتشفا حضورا وفعالية على ما اعتقد . من غير ان ننسى بالطبع دور المجالات الأدبية الاخرى ، ودور الزوايا الأدبية للصحف السياسية اذ ذاك في اغناء النشاط الثقافي والإبداعي ، كمجلة « الفرائس » (١٩٢٤ - ١٩٤١) لقبدا لله حشيمه ، ومجلة « المشرق » للإباء اليسوفيين ، وجريدة البرق ، للاخطل الصغير ، وغيرها من المنشورات ذات الاتجاهات التعددية المختلفة ...

٩ - واذا نصل هنا الى مرحلة ما بعد الاستقلال ، منذ بداية الاربعينات حتى يومنا الراهن ، تطالنا فترة تاريخية من اخصب الفترات ، واكثرها تداخلا وتمقيدا ، واشدها صراعا بين التناقضات على مختلف المستويات السياسية والاجتماعية والايديولوجية .

وقد كان للمجلات الأدبية ، في هذه المرحلة ، دورها الهام في الصراع الثقافي بين الافكار ، وفي الصراع الفني بين الاساليب والاتجاهات المختلفة والمتنوعة .

واذا نحن استبعدنا من حقل النظر العدد الكبير من المجالات الأدبية الصادرة في لبنان ابتداء من السبعينات وواخر الستينات - وهي مجالات يختص كل منها بسمات فكرية وفنية متميزة فيما بينها ، ويتعدى اطلاق اي حكم على دورها في موضوع الخلق الفني قبل مرور وقت كاف على نشاطها - اذا نحن استبعدنا من حقل النظر هذا العدد الكبير من المجالات الأدبية الجديدة لا يبقى امامنا من المجالات التي اثبتت قدرتها على البقاء ، وكان لها اثر فاعل في الحياة الثقافية عندنا ، وفي البلاد العربية ، غير عدد قليل لا يتجاوز خمسا او ست مجالات على الاكثر .

١٠ - وفي طليعة هذه المجالات تأتي مجلة « الطريق » التي اسمها المرحوم المهندس انطون ثابت عام ١٩٤١ لتكون صوت المناضلين الوطنيين ، والكتاب الثوريين في لبنان ، ولتكون اداة للصراع الفكري والايديولوجي ضد مختلف اشكال الاستغلال والفسح والعدوان ، التي تمارسها الامبريالية والصهيونية والرغبة الغربية على جماهير الأمة العربية ،

وعلى حقوقها الوطنية ، وكيانها القومي ، وحققها بالحربة والعدالة والتقدم .

وقد لعبت « الطريق » وما تزال دورا اساسيا وبالغ الاهمية لا في المجالات السياسية والاجتماعية والايديولوجية فحسب ، بل في قضايا الخلق الفني ومفاهيم الابداع الادبي والجمالي ايضا .

فمن على صفحاتها انطلقت في الاربينات وما بعدها مفاهيم الالتزام الادبي واثيرت قضايا الابداع الجمالي في الشعر والفن . وانظرت قضايا الواقعية واتجاهاتها الابداعية . كما اثارت « الطريق » قضايا التراث والتجديد والمعاصرة ، وقضايا علم الجمال وغيرها من المسائل التي تدخل في مقومات عملية الخلق الفني والابداع الثقافي والادبي . ولئن استقطبت « الطريق » عددا كبيرا من كتاب لبنان ، والبلاد العربية ، المشهورين ، فانها ما تزال اليوم ، بالاضافة الى من بقي على قيد الحياة من هؤلاء ، تستقطب جيلا جديدا من الكتاب الناشئين ذوي النظرة الدقيقة والفكر التقدمي المنهجي فضلا عن جيل جديد من الشعراء والفنانين الحديثين في انواع الادب المختلفة .

١١ - وتأتي مجلة الاداب ، التي اسسها الدكتور سهل ادريس عام ١٩٥٣ ، لتقف في الخط الوطني والقومي للثقافة العربية في لبنان ، ولتمثل دورا هاما في ترسيخ هذا الخط وتعميق ملامحه في الادب على انواعه ، ولتحتضن مواهب عربية ناشئة وتفتح لها دروب التقدم والسمانة ، وتحمل راية الدفاع عن حرية الادب والادباء العرب المضطهدين حيثما كانوا ، وتسهم بدورها في عملية الخلق الفني ، مواضيع ، وانواعا ، واساليب ، وتكون همزة وصل بين ماض وحاضر ، وبين الادباء العرب على امتداد رقعتهم واتساع آفاقهم .

١٢ - ومن المجلات الادبية التي ما تزال تصدر حتى اليوم ، والتي كان لها تاثير خاص في مجال الخلق الفني في الادب ، واستقطبت عددا وافرا من الكتاب على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم ، مجلة « الاديب » التي اسسها البير ادب عام ١٩٤١ لتكون منبرا للتجديد على غير تشدد في الالتزام الثقافي والايديولوجي . وقد لعبت هذه المجلة لدى طويل دورا مؤثرا في تطوير الاساليب والاشكال الفنية في مختلف انواع الادب . الا انها تلتزم منذ حين جانبا من الحداثة والاتباعية تدفع بها الى مناطق تجعلها في حكم اللامجدبة او اللامؤثرة فكريا وجماليا .

١٣ - وليس يستطيع الباحث في فترة ما بعد الاستقلال وحتى

نهاية الستينات الا ان يتوقف عند ثلاث مجلات ادبية ظهرت في اوقات متباعدة واحتجبت بعضها عن الظهور وبعضها يعاني من صعوبات قد تضطره الى الاحتجاب نهائيا . عنيت بها مجلة « الحكمة » ومجلة شعر (١٩٥٧ - ١٩٦٩) ومجلة « مواقف » (١٩٦٩) .

اما مجلة « الحكمة » فقد حملت لواء المدرسة اللبنانية في الادب . وهو الاتجاه الذي يقوم من حيث الشكل على العناية بالصياغة الاليفة والتعبيرية المنمقة ، ومن حيث المضمون على تكريس المفاهيم السائدة في المناخ الثقافي اللبناني الذي يفتقر الى مزيد من الالتزام بالقضايا المصرية العربية والعالمية . ومهما يكن فقد لعبت « الحكمة » في بعض الوجوه ، دورا مؤثرا في التنقية الاسلوبية وشفافية التعبير ورهافته .

اما مجلة « شعر » فقد لعبت دورا رياديا في الدعوة الى الشعر الحديث ، وفي تكريس الجهود والطاقت الابداعية لاطلاقه وصياغة مفاهيمه ونظرياته . ولئن فات « شعر » احيانا كثيرة القدرة على الربط بين امكانات الواقع الثقافي على المشاركة والاستيعاب ، وبين مستويات البث الشكلي والتعبيري فانه لم يفتها الموقف الجذري في عملية البناء الفني الشعري الحديث . فكانت بذلك سباقة ورائدة .

تبقى « مواقف » وهي المجلة التي انشأها ادونيس عام ١٩٦٩ ودعا فيها الى تأسيس كتابة جديدة تنحط كل التمايزات النوعية المستقلة في الادب وتتنصر فيها مختلف العناصر الابداعية الشعرية والنثرية . كما دعا فيها الى تجاوز الماضي للتوجه نحو المستقبل كخطوة اساسية واولى لكل ابداع حقيقي اصيل . وبرغم الانتقادات الكثيرة التي تواجه هذه المجلة ، وبرغم المنع الذي تواجه به في اكثر من بلد عربي ، وبفض النظر عن المردود الاجتماعي والسياسي للمجلة على حركة التحرر العربية ، فان دعوتها التجديدية ليست مرفوضة كلها وهي في جوانب عديدة منها جديرة بالتدريس وخليقة بالتمعن والتبصر .

وبعد ، فهذه اللوحة الموجزة التي حاولت رسمها لكم عن دور المجلات الادبية اللبنانية في الخلق الفني لا ادعي انها تشتمل على احكام نهائية في هذا الموضوع بقدر ما هي نظرات قد تكون صائبة وقد لا تكون ، الا انها تنطلق من قناعات مخلصه عندي ، بقدر ما يمكن ان يكون حكم الباحث الملتزم بالوضوعية والتقدم صادقا مع نفسه ومع قرائه ومع امته .

بيروت

دراسات ادبية

من منشورات دار الآداب

د . زكي مبارك	بين آدم وحواء	د . طه حسين	مذكرات طه حسين
د . جلال الخياط	التكسب بالشعر	» »	من ادبنا المعاصر
سامي خشبة	شخصيات من أدب المقاومة	خليل النداوي	تجديد رسالة الفران
فرانسيس جاتسون	سيمون دو بوفوار أو مشروع الحياة	رؤيف خوري	الادب المسؤول
لدولويه	كامو والتمرد	رجاء النقاش	اصوات غاضبة في الادب والنقد
ا . ا . هوثنر	بابا همنفواي	صلاح عبدالصبور	وثبقى الكلمة